



## الإجابة

ليراد ما استرركه عائشة على الصحابة  
[ أفه الإمام الزركشي وحققه الأستاذ سعيد الأفغاني ]

### لأستاذ جليل

→ ←

الأستاذ سعيد الأفغاني - العربي الشامي - مسلم مؤمن ، وفاضل مهذب ، وأديب محقق . ومن رافقه وقرأ أقواله ظهرت له هذه السجايا والمزايا ظهوراً . ومن خطط هذا السيد أن يُطرف فيما يؤلفه أو ينشره من كتب السلف الصالح . فصنفه ( أسواق العرب في الجاهلية والإسلام ) مباحثه طريقة ذات جدة . وكتاب ( الإجابة ليراد ما استرركه عائشة على الصحابة تأليف الإمام بدر الدين الزركشي ) الذي أظهره اليوم - من أدلة هذا الإطراف . وترجمة الكتاب تنبي عن غرابته وطرافته وإن نشر الباحث مؤلفاً قديماً محققاً إياه بتحقيق الأستاذ الأفغاني كتاب الإجابة - تأليف وزيادة

وعملُ العرب الحق في هذا الوقت - كما يرى أكثر الفضلاء - إنما هو نشر مصنفات الأقدمين ونقل مقالات التريير ليس غير . وحجتهم في ذلك أن ( البعث ) حدث وأن ليس عند العرب اليوم شيء ، والفلسون المساكين لا يكلفون إنفاقاً ولا جهوداً . على أن حاجة العرب العظيمة إلى ذبك النشر والنقل لا تصد عن التأليف فليشر الناشرون ، ولينقل الناقلون مكثرين . وليؤلف - بعد البحث الطويل ، والتفكير الكثير ، والمرجمات المديدة - المؤلفون مقلين ، مقلين

\*\*\*

الحديث والمحدثون في الإسلام عالم عجيب . وليس في الدنيا أمة عنيت بما يُعزى إلى صاحب محلها عنايتنا بأحاديث النبي الأعظم ( صلى الله عليه وسلم ) . ومما بعث على هذه العناية الكبرى أن أقواله ( صلوات الله وسلامه عليه ) لم تقيد بالكتاب في أيامه ، ولا أيام

صحابته ( رضوان الله عليهم أجمعين ) ، ولم يكن إلا الألسنة تنقل أو تروى « وكان علم الشريعة في مبدأ هذا الأمر تقيلاً صرفاً »<sup>(١)</sup> وعند أهل السنة أحاديث غابت عن الإمامية ، ومع هؤلاء ما لا تعرفه الجماعة ، السنية ؛ وعند الصوفية والاسماعيلية ، وسائر الباطنية غرائب تنكرها تانك الفرقتان . وقد بذل الأئمة ( رحمهم الله ) الجهود بل فوق الجهود في أمر الحديث ورجاله . وأبدعوا في مؤلفاتهم وتفنونوا ، وأفردوا كل نوع منه ومن رواه بالتصنيف الجود « لقد كانوا في دقتهم وتحريرهم وإحاطتهم وإتقانهم معجزة الله في المؤلفين »<sup>(٢)</sup> وليقرأ من أراد الإلمام باهتمام القوم ( مقدمة ابن الصلاح ) في علوم الحديث . ففيها إشارات مبيّنة ؛ وهي في هذا الفن مثل مقدمة ابن خلدون في بابها كما قال فقيه الشام كآه العلامة الأستاذ الشيخ محمد بهجة البيطار .

ومن أدلة الإحفاء أو الاستقصاء في شأن الحديث ، ومن بدائع التنوع والتخصيص فيه كتاب ( الإجابة ) الذي صنفه الإمام الزركشي ، وحققه وأنشأ مقدمته وعلق عليه وفهرسه الأستاذ سعيد الأفغاني .

\*\*\*

يبدأ الكتاب بمقدمة الأستاذ الأفغاني ، وقد نشر شيئاً منها في الجزء ( ٣٠٤ ) من « الرسالة » الفراء . ذكر فيها مطبياً موضعاً مكانة أم المؤمنين ( رضى الله عنها ) وسيرة المؤلف وأسماء مصنفاته الثلاثة والثلاثين .

وتجى بعد ذلك مقدمة المؤلف وقد أشار إليها محقق ( الإجابة ) في مقالة له في الجزء ( ١٩ ) من « الثقافة » الفراء .

ويلها الباب الأول في سيرة « السيدة » : ( رضى الله عنها ) وخصائصها وفيه فصلان : الفصل الأول في ذكر شيء من حالها ؛ وقد جاء فيه :

« روى لها عن النبي ( صلى الله عليه وسلم ) ألفا حديثاً ؛

(١) ابن خلدون في المقدمة في الفصل السادس في علوم الحديث

(٢) الأستاذ سعيد الأفغاني في مقدمته في كتاب الإجابة .

قلت : بطلان ذلك للقول ظاهر مثل الشمس ، وقد قال الإمام العلامة الكبير (على القارى) فى رسالته فى (الموضوعات) : « ونحن ننبه على أمور كلية يعرف بها كون الحديث موضوعاً » وذكر أموراً كثيرة : « منها أن يكون الحديث باطلاً فى نفسه فيدل بطلانه على أنه ليس من كلامه كحديث (إذا غضب الرب أنزل الوحي بالفارسية ، وإذا رضى أنزله بالعربية) وحديث (خذوا شطر دينكم عن الحميراء) ، وحديث (من لم يكن له مال يتصدق به فليمن اليهود والنصارى) ، فإن اللعنة لا تقوم مقام الصدقة أبداً » ويلى هذا الفصل الباب الثانى والباب الثالث فى استدراكها (رضى الله عنها) على أعلام الصحابة (رضى الله عنهم) . وهذان البابين هما معنى الكتاب . وفى الأول أربعة وعشرون استدراكاً ، وفى الثانى أحد عشر استدراكاً . وقد ذبلهما محقق الكتاب بأربعة استدراكات ، قطفها من (مسند أحمد) — رحمه الله — وهى تدل على عظم تفتيشه واحتفاله فى البحث .

\*\*\*

جاء فى الباب الثانى من الاستدراكات على عبد الله بن عباس (رضى الله عنهما) : « أخرج البخارى ومسلم من طريق عمرة بنت عبد الرحمن أن زياد بن أبي سفيان كتب إلى عائشة ... » . فهذا الإمام المذهب المحقق يذكر أحاسيدنا معاوية (رضى الله عنه) كما ترى ، ونابته فى هذا العصر تنفى عن النسبة الحق وتضلها أساطير فى أمثال كتاب (العقد) .

إن زياد بن أبي سفيان (رضى الله عنهما) من أبطال العرب ومن رجال الإسلام الكبار ؛ فليعلم ذلك من يجهل .

ومن استدراكاتها على ابن عباس (رضى الله عنهم) : « روت على ابن عباس قراءته قوله تعالى (وظننوا أنهم قد كذبوا) بالتخفيف فأخرج البخارى فى التفسير عن أبي مليكة قال ابن عباس (حتى إذا استيأس الرسل وظنوا أنهم كذبوا) خفيفة ذهب بها هناك ، وتلا (حتى يقول الرسول والذين آمنوا معه متى نصر الله ؟) فلقيت عمرو بن الزبير فذكرت له ذلك ، فقال : قالت عائشة : معاذ الله ! والله ما وعد الله رسوله فى شيء قط إلا علم أنه كائن قبل أن يموت ، ولكن لم يزل البلاء بالرسول حتى خافوا أن يكون من معهم يكذبونهم ، فكانت تقرأها (كذبوا) منقلة »

قلت : القراءة بكسر الهمزة والتخفيف هى المشهورة ، ولها معنى غير الذى خنه ابن عباس . وقرئ بكسر الهمزة وبفتحة خفيفة ومشددة وفى (جامع البيان) للطبرى (الجزء ١٣ الصفحة ٤٧) روايات

ومثلاً حديث ، وعشرة أحاديث » ، (٢٢١٠) .

وفى هذا الفصل : « ... عن أبي يونس مولى عائشة أم المؤمنين أنه قال : أمرتني عائشة أن أكتب لها مصحفاً ، ثم قالت : إذا بلنت هذه الآية فأذنى (حافظوا على الصلوات والصلوة الوسطى) فلما بلغتها قالت : (صلوة العصر) سمعتها من رسول الله صلى الله عليه وسلم » قلت : وفى (كتاب المصاحف) للسجستاني نحو من هذا . وعزى الزمخشري هذه الحكاية إلى حفصة (رضى الله عنها) وقال فى كتابه أيضاً : « روى عن عائشة وابن عباس (رضى الله عنهم) والصلوة الوسطى وصلوة العصر بالواو ، وقرأت عائشة (رضى الله عنها) والصلوة الوسطى بالنصب على المدح والاختصاص » وعزتها رواية فى الطبرى إلى أم سلمة (رضى الله عنها) وذكرت رواية فيه حميدة ابنة (١) أبي يونس لا أبى يونس . وقد أورد الإمام الطبرى فى تفسيره (جامع البيان) روايات كثيرة ، كلها تبين للصلوة الوسطى فقط منها هاتان الروايتان :

«... فتادة عن أبي أيوب عن عائشة أنها قالت : الصلاة الوسطى

صلاة العصر... عن سليمان التيمي عن أبي أيوب عن عائشة مثله »

فالسيدة (رضى الله عنها) مفسرة . وفى الجزء ٢١١ من

(الرسالة) الفراء كلمة أشارت إلى ما أشارت إليه ، وجاء فى ختامها هذا : « إن كان كتاب كل أمة أو ملة فيه تبديل وتحريف وفيه زيادة ونقصان ، وفيه الخطأ والخلط ، وكان كاتبه غير صاحبه . ف (ذلك الكتاب لا ريب فيه) (إننا نحن نزلنا الذكر ، وإننا له لحافظون) . »

الفصل الثانى فى خصائصها (رضوان الله عليها) وهى اثنتان وأربعون ، وقد بين المؤلف كل خاصية من هذه الخصائص أو الخاصيات . قال فى السادسة عشرة : « اختياره صلى الله عليه وسلم أن يمرض فى بيتها . قال أبو الوفاء عقال (رحمته الله) : انظر كيف اختار لمرضه بيت البنت ، واختار لموضع من الصلاة الأب ، فما هذه النفلة عن هذا الفضل والمنزلة ؟ »

وقال فى السابعة والعشرين : « جاء فى حقها (خذوا شطر

دينكم عن الحميراء<sup>(٢)</sup>) وسألت شيخنا الحافظ عماد الدين بن كثير عن ذلك فقال : كان شيخنا حافظ الدنيا أبو الحجاج الزرى (رحمته الله) يقول : كل حديث فيه ذكر الحميراء باطل إلا حديثاً فى الصوم فى سنن النسائى »

(١) يحنفون الألف فى مثلها وهى عندي لا تحذف

(٢) قلت : فى النهاية : نصخر الحميراء يريد البيضاء . وفى اللسان : الغزب تقول : إمرأء حمراء ، أى بيضاء

ذوات فوائد في قراءات هذه الآية وتفسيرها .

وقال (الكشاف) في قراءة ابن عباس وتفسيره : « وعن ابن عباس (رضي الله عنهما) وظنوا حين ضعفوا وغلبوا أنهم قد أخلفوا ما وعدهم الله من النصر ، وقال : كانوا بشرا ، وتلا قوله (وزلزلوا حتى يقول الرسول والذين آمنوا معه متى نصر الله) فإن صح هذا عن ابن عباس فقد أراد بالظن ما يخطر بالبال ويهيجس في القلب من شبه الوسوسة وحديث النفس على ما عليه البشرية . وأما الظن الذي هو ترجح أحد الجائزين على الآخر فغير جائز على رجل من المسلمين ، فإبال رسل الله الذين هم أعرف الناس بربهم وأنه متعال عن خلف اليعاد منزه عن كل قبيح »

ومن استدراكها على أبي هريرة (رضي الله عنهما) : «... عن أبي هريرة قال : (لأن يمتلي جوف أحدكم قبيحا ودما خير له من أن يمتلي شعرا) فقالت عائشة رضي الله عنها : لم يحفظ الحديث ؛ إنما قال رسول الله (صلى الله عليه وسلم) : لأن يمتلي جوف أحدكم قبيحا ودما خير له من أن يمتلي شعرا بحيث به » قلت إن من يجترئ بمحدث أبي هريرة (رضي الله عنه) ليدها ما يدهي من يجهل السبب في وحي آية الشعراء

قال الإمام الطبري في (جامع البيان) : « قال عبد الرحمن ابن زيد : قال رجل لأبي : يا أبا أسامة ، رأيت قول الله (جل ثناؤه) : والشعراء يتبعهم الغاوون ألم تر أنهم في كل واد يهيمون وأنهم يقولون ما لا يفعلون . فقال أبي : إنما هذا لشعراء المشركين وليس شعراء المؤمنين . ألا ترى أنه يقول : إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات إلى آخره . فقال : فرجت عنى يا أبا أسامة فرج الله عنك ! »

وقال الكشاف في تفسير الآية : « هم شعراء قريش عبد الله بن الزبير وهيرة بن أبي وهب المخزومي ومسافع بن عبد مناف وأبو سزة الجحفي ، ومن تقيف أمية بن أبي الصلت ، قالوا : نحن نقول مثل قول محمد ، وكانوا يهجونه ويجتمع إليهم الأعراب من قومهم يستمعون أشعارهم وأهاجيهم »

وروى الزخشري عن الخليل : « كان الشعر أحب إلى رسول الله من كثير الكلام ، ولكن كان لا يتأني له »

وجاء في (الإجابة) في باب الاستدراكات : « نقل أهل التفسير في قوله تعالى : (والذي قال لوالديه) إن معاوية كتب إلى مروان بأن يبايع الناس لبزيد ، قال عبد الرحمن بن أبي بكر :

لقد جئتم بها هرقلية<sup>(١)</sup> ، أتبايعون لأبنائكم ؟ ! فقال مروان : يا أيها الناس هذا الذي قال الله فيه (والذي قال لوالديه أف لكما) فسمعت عائشة فغضبت وقالت والله ما هو به ، ولو شئت أن أسميه لسميته ، ولكن الله لعن أباك وأنت في صلبه ، فأنت قضيت من لعنة الله )

قلت : روى فضيظ وفضاظه وأنكرها الخطابي ، وفي أكثر كتب الحديث وغيره وكتب اللغة التي روت هذا الخبر أو شيئا منه - (فضض) بالفاء .

وهذا الحديث في (البخاري) وقد أشار إليه الزركشي ولم يورده ، وهذه رواية أبي عبد الله (رحمه الله) :

«... عن يوسف بن ماهك قال : كان مروان على الحجاز ، استعمله معاوية فخط فجعل يذكر يزيد بن معاوية لكي يبايع له بعد أبيه ، فقال له عبد الرحمن بن أبي بكر شيئا ، فقال : خذوه . فدخل بيت عائشة ، فلم يقدروا ، فقال مروان : إن هذا الذي أنزل الله فيه : (والذي قال لوالديه) أف لكما أتمداني) فقالت عائشة من وراء الحجاب : ما أنزل الله فينا شيئا من القرآن إلا أن الله أنزل عذري »

ومن استدراكها (رضي الله عنها) على أزواجه (صلى الله عليه وسلم) ورضي عنهن : « أخرج البخاري ومسلم عن عمروة عن عائشة أنها قالت : إن أزواج النبي (صلى الله عليه وسلم) حين توفي رسول الله (صلى الله عليه وسلم) أردن أن يبعن عثمان بن عفان إلى أبي بكر يسألنه ميراثهن من رسول الله (صلى الله عليه وسلم) فقالت عائشة لمن : قد قال رسول الله (صلى الله عليه وسلم) : لا نورث ، ما تركناه صدقة »

ويتبع هذين البابين والذيل في الاستدراكات العائقات فهارس الكتاب : فهرس الأعلام ، فهرس الجماعات ، فهرس الأماكن ، فهرس الكتب ، فهرس الموضوعات

\*\*\*

إن هذا الذي خططناه إنما هو إشارة إلى كتاب الإجابة لابن تين ولا توضيح . ومن شاء من الفضلاء أن يعرفه ويستفيد منه اشتراه وقرأه ، ودعا المؤلف ، وأثنى على (السميد) المحقق . بارك الله فيه ، وأكثر في شباب العرب والمسلمين من أمثاله .

القارىء

(١) في الفائق : (أجتم بها هرقلية قوية) قوق اسم ملك من ملوكهم ويقال الذانير هرقلية والقوية . وفي اللسان : يريد البيعة لأولاد الملوك سنة الروم والمجم .